الملك والشيطان

* على ضفة نهر «جودافاري» تقع مملكة «براتيشتانا». وكان يجلس على عرشها الملك «تريفيكراماسينا»، الذائع الصيت، الذي كان نفوذه يضارع نفوذ الإله «أندرا»[1].. وقد اعتاد ذلك الملك أن يعقد ندوات أسبوعية، في قاعة الاجتماعات الشعبية، يؤمها أفراد الشعب، ويتقدمون إليه فيها بمطالبهم ومظلماتهم. وهداياهم. وقد لاحظ الملك أن أحد المتسولين يداوم على حضور هذه الندوات، ويقدم إليه –في كل مرة –هدية من الفاكهة. فكان يقبل الهدية شاكراً، ثم يسلمها إلى أمين الخزانة الواقف ضمن بطانته.

وذات مرة، جاء المتسول بهديته من الفاكهة ثم انصرف وعندئذ لمح الملك قرداً قد تحرر من وثاقه وتسلل مبتعداً عن صاحبه، فألقى إليه الملك بثمرة من ثمار الفاكهة فما أن قضمها القرد حتى سقطت منها جوهرة ثمينة. فألتفت الملك إلى أمين خزانته قائلاً: «إن هذا المتسول يقدم هذه الفاكهة منذ عشر سنوات، فماذا فعلت بها؟»، فأجابه أمين

(1) «أندرا» كبير الألهة عند الهندوكيين.

الخزانة: «لقد كنت ألقيها في المخزن من النافذة دون أن أفتح الباب. فإذا شئت بحثت لك عنها! »

وأومأ الملك برأسه موافقاً. ومن ثم غادر أمين الخزانة القاعة، ولم يلبث أن عاد بعد هنيهة متهلل الأسارير، وقال للملك: «إنني لم أجد بالمخزن شيئاً من الفاكهة ولكنني وجدت بدلاً منها كومة من الأحجار النفيسة. فسر الملك بأمانة الرجل، وأهداه المجوهرات مكافأة له.

حتى إذا عاد المتسول في اليوم التالي كعادته سأله الملك قائلاً: «لماذا تأتي كل يوم –يا سيدي –لتقدم فروض ولائك على هذا النحو الذي يكلفك غاليًا. سأرفض هداياك منذ الآن ما لم تفسر لي الأمر». وقد تردد المتسول –في البداية – لكنه لم يلبث أن انتحى بالملك جانباً وقال له:

إنني أرغب في عمل تعويذة سحرية. وتلزمني لذلك معونة رجل يتصف بالشجاعة ولذلك أناشدك –يا أشجع الشجعان –أن تمد لي يد العون!». فأبدى الملك استعداده للقيام بكل ما يطلبه منه، مما أدخل السرور في قلب المتسول فاستطرد: «إذن، تعال إلى أرض المحرقة المتسعة الرقعة، في اليوم الرابع عشر من محاق القمر، عند منتصف الليل، وستجدني هنالك في انتظارك تحت شجرة «ألفاتا»، فأجابه الملك قائلاً: «سأجيء بالتأكيد».

وما أن حل اليوم الرابع عشر من محاق القمر، حتى تذكر الملك الأمين الوعد الذي قطعه على نفسه للمتسول. فانتظر حتى غربت الشمس، ثم تسلل خارجاً من القصر الملكي، متدثراً بعباءة زرقاء داكنة قابضاً على سيفه بيمينه استعداداً للطواريء. حتى إذا بلغ المكان المحدد للقاء، كان الظلام قد خيم على أرض المحرقة، وغدا الجو مقبضاً كئيباً، تفوح منه رائحة الدخان ممتزجة برائحة الجثث المحترقة وبدت له جمرات النار المتخلفة عن الحطب المحترق» وكأنها عيون شياطين تنظر إليه شذراً وتحيط به من كل جانب، كلما خطا خطوة فوق أكوام الجماجم والهياكل العظمية المخالفة من عدد لا حصر له من أأوتي! وتعالت في أذنيه الصيحات المفزعة التي كانت تتردد في أرض المحرقة، ملؤها الحقد والفزع الدفين، تلك الصيحات التي لا يمكن أن تصدر إلا من إله الخوف!

بيد أن ذلك كله لم يستطيع أن يثنيه عن عزمه، بل أنه على العكس حث الخطى متقدماً إلى الأمام، وهو يتلفت حوله. وأخيراً لمح المتسول جالساً تحت شجرة «ألفاتا»، وقد انهمك في رسم دائرة سخرية! فبادره قائلاً: «ها أنذا قد حضرت يا سيدي المبجل. فماذا تريد مني؟»، وعندئذ رمقه المتسول بنظرة تفيض امتناناً وعرفاناً بالجميل، ثم أجابه: «لقد غمرتني بفضلك يا صاحب الجلالة إذ أنجزت وعدك وما دمت قد طوقتني بهذا الجميل، أرجو منك أن تتم صنيعك معي فتتجه نحو الجنوب، حتى تصادفك شجرة «سيستو» قائمة هناك في عزلة عن غيرها

من الأشجار، وعلى هذه الشجرة ستجد جثة مدلاة، فتكرم – يا مولاي الشجاع وائتني بهذه الجثة!»

وكان الملك من الذين يوفون بالوعد، فسرعان ما اتجه نحو الجنوب، ومضي في طريقه لا يلوي على شيء، على ضوء الجمرات التي كانت ترسل بصيصاً يهديه السبيل. وأخيراً وصل إلى شجرة السيستو، وهناك رأي جثة رجل مدلاة تتأرجح في الهواء. فتسلق الملك الشجرة، وقطع الحبل الذي يربط الجثة بها فوقعت الجثة وارتطمت بالأرض، وإذ ذاك ندت عنها صرخة حادة، وكأنها أحست ألمًا فظيعاً! فنزل الملك وأمسك بالجثة في رفق، خوفاً من أن يكون صاحبها لا يزال حياً. بيد أنه بوغت إذ سمع رنين ضحكات تخرج من فم الجثة، فأيقن أن شيطاناً قد سكنها. إلا أن ذلك لم يروعه وإنما واجه الشيطان بشجاعة قائلاً: «لماذا تضحك؟ هيا قم، ولنذهب في طريقنا!»

لكنه لم يكد تفوه بتلك الكلمات حتى اختفت الجثة عن ناظريه، وما أن راح يتلفت حواليه، حتى رآها مدلاة –مرة أخرى – من الشجرة. وكان الملك الشجاع يملك قلبًا صلبًا لا يتزعزع، ولا تفيه حقه أثمن اللآلئ وأنفس الجواهر! ومن ثم عاد فتسلق الشجرة وقطع الحبل. ثم رفع الجثة فوق كتفيه، ومضى في طريقه. وفيما هو يسير تحدث إليه الشيطان من فوق كتفه قائلاً: «سأحكي لك قصة طريفة تخفف عنك عناء الطريق. أنصت: